

# هل الرؤى من وسائل العلم بالآخر؟

الأستاذ الدكتور

يوسف القرضاوي

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

## تمهيد :

في العدد الماضي من ( الحولية ) عالجنا قضية ( الإلهام ) أو ( الكشف ) الذي أفرط فيه بعض الناس ، فجعلوه حجة في الأحكام الشرعية ، وأحلوا به الحلال ، وحرّموا الحرام ، وأوجبوا الواجبات . وبذلك أضفوا على خواطرهم وأحاديث قلوبهم لونا من العصمة . فهي لا تكذب ولا تخطئ .

وفرط فيه آخرون ، فأنكروا أن يكون للإيمان والتقوى والرياضة والمجاهدة أى أثر في تنوير القلب وهدايته إلى الصواب في مفارق الطرقات ، وإعطائه الفرقان في التشابهات . وبيننا الرأى السليم ، والمنهج القويم ، الذى انتهى إليه الربانيون المحققون ، الذين هدوا إلى الصراط المستقيم ملتزمين بمحكمات القرآن والسنة ، غير مائلين إلى غلو الغالين ولا تقصير المقصرين .

ولم يتسع المجال آنذاك لتحقيق القول في قضية ( الرؤى ) وما يحيط بها ، فهي مكملّة لموضوع الإلهام والكشف ، فالإلهام كشف في حالة اليقظة ، والرؤيا كشف في حالة المنام . وكلاهما من إدراكات الروح ، التى يستوى عندها النوم واليقظة ، والليل والنهار . وقد استدلل الإمام الغزالي وغيره على صحة الكشف في اليقظة بصدق الرؤى التى يراها النائم في المنام ، والتى صح الحديث بأنها جزء من أجزاء النبوة .

لهذا كان علينا أن نستكمل البحث في موضوع ( الرؤيا ) ومدى إمكان الاعتماد عليها في إثبات الأحكام ، ومعرفة الحلال والحرام ، وهل يعتد بها دليلا مستقلا من أدلة الشرع في الإثبات والنفي أولا ؟ وفي أى مجال يمكننا اعتبارها والاعتداد بها ؟ هذا ما نحاول في هذه الصفحات أن نبحث فيه ، ونلقي عليه بعض الضوء . في إطار

الأصول الشرعية ، والأدلة الثابتة من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .  
وقد عرض القرآن الكريم لقضية الرؤيا في قصة الخليل إبراهيم مع ابنه الذبيح إسماعيل  
عليهما السلام . وفي قصة يوسف في أكثر من موضع .

واتفق العلماء على أن رؤيا الأنبياء إحدى طرق الوحي ، وهي داخله في قول الله تعالى :  
[ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ  
عَلَىٰ حَكِيمٍ ] ( الشورى / ٥١ ) ، فقوله « إلأوحيا » يشمل « الإلهام »  
وما يطلق عليه ( النفث في الروح ) في الیقظة كما يشمل ( الرؤيا ) في النوم ، وعلى هذا  
اعتبرت رؤيا إبراهيم في ذبح ولده وحيا وأمر من الله تبارك وتعالى .

أما السنة النبوية فقد فصلت في أمر الرؤيا ، وورد فيها عدد وافر من الأحاديث ، حتى إن  
الإمام البخاري عقد في جامعه الصحيح كتابا خاصا سماه كتاب ( التعبير ) أورد فيه تسعة  
وتسعين حديثا ، وافقه مسلم على تخريجها كلها ، إلا بضعة أحاديث ، كما أورد فيه عشرة آثار  
عن الصحابة والتابعين كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح في آخر كتاب التعبير .<sup>(١)</sup>  
ومن هذه الأحاديث :

حديث أبي قتادة : « الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا حلم أحدكم الحلم  
يكرهه ، فليصق عن يساره ، وليستعذ بالله ، فلو يضره » .

وحديث أنس بن مالك : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا  
من النبوة » .

وحديث أبي سعيد الخدري : « إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها ، فإنما هي من الله ،  
فليحمد الله عليها وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هي من الشيطان فليستعذ  
من شرها ولا يذكرها لأحد ، فإنها لا تضره » .

وحديث أبي هريرة : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا  
الصالحة » .

وحديث أنس : « من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » .

---

(١) فتح الباري ج ١٢ ص ٤٤٦ ط دار الفكر المصورة عن السلفية .

وحديث أبي سعيد : « من رآني فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكونني » والجزء الأول من رواية أبي قتادة أيضا .

### حقيقة الرؤيا وصلتها بعالم الغيب :

والناس في قضية الرؤيا جد متفاوتين :

فمن الناس من غلظ حجابهم - كالمادين في عصرنا وفي كل عصر ، وكأتباع مدرسة التحليل النفسي - فهم ينكرون الرؤيا الصادقة ، ولا يرون الرؤى كلها إلا انعكاسا لما في النفس حالة اليقظة ، أو لما يختبئ في سراديب العقل الباطن « اللا شعور » .

وفي مقابل هؤلاء من يعتمدون في حياتهم على الرؤى كأنها وحي ، ويتنظرون في كل أمر أن يروا فيه رؤيا تشير لهم إلى الطريق . بل منهم من يجعلها حجة يستدل بها كما يستدل بالسنة والكتاب ، أو الإجماع والقياس .

وفي بعض الجمعيات الإسلامية انشق فريق من أعضائها على قيادتهم ، وناصبوها العداء بناء على رؤى رآها بعضهم ، وكأنما اعتبروها وحيًا .

وذكر الأستاذ فهمي هويدي في إحدى مقالاته الأسبوعية في الأهرام القاهرية وغيرها : أن أحد حكام المسلمين ، بعد أن قرر إجراء الانتخابات في بلده في موعد معين ، عاد فآلغاها نتيجة لرؤيا رآها ، حذرته من عواقبها !

وهكذا أصبحت الرؤى تتدخل في الدين ، وتتدخل في السياسة ، وتتدخل في شتى شؤون الحياة .

ونحن لانفي صدق بعض الرؤى ، فهذا أمر أثبتته النص ، وأثبتته الواقع ، وأيده العلم .

أما النصوص فحسبنا ما ذكره القرآن في سورة يوسف ، من رؤياه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له . ومن رؤيا الملك سبع بقرات سمان . . . ومن رؤيا السجينين معه . . . الخ . وكلها كانت رؤى صادقة ، ووقعت كما رؤيت .

وكذلك رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين .

وفي الحديث الصحيح عند البخاري « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » (٢)

وقد قيل في سبب هذا التخصيص بالعدد المذكور :

١ - أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم - من الوحي هو الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح . وذلك نصف سنة ، ثم انتقل إلى وحي اليقظة ، مدة ثلاث وعشرين سنة ، من حين بعث إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم .  
فنسبة مدة الوحي بالرؤيا إلى سائر المدة نسبة واحد إلى ستة وأربعين .  
قال ابن القيم : « وهذا حسن ، لولا ما جاء في الرواية الصحيحة الأخرى . . أنها جزء من سبعين جزءاً » .

٢ - وقد قيل في الجمع بينهما : ان ذلك بحسب حال الرائي ، فإن رؤيا الصديقين من ستة وأربعين . ورؤيا عموم المؤمنين الصادقة من سبعين . والله أعلم (٣) .

٣ - وفي تفسير الألوسي : لعل المقصود من كل ذلك - على ما قيل - مدح الرؤيا الصادقة والتنويه برفعة شأنها ، لا خصوصية العدد ، ولا حقيقة الجزئية . (٤)

وفي حديث آخر : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » . قيل : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة ، يراها المؤمن ، أو ترى له (٥)

فالمراد بهذه الأحاديث وما شابهها تشبيه أمر الرؤيا الصادقة بالنبوة ، لأن فيها اطلاعاً على الغيب من وجه ما ، لا أن الرؤيا نبوة . لأن جزء الشيء - إن أثبتنا حقيقة الجزئية هنا - لا يستلزم ثبوت وصفه للشيء كله . كمن قال « لا إله إلا الله » رافعاً بها صوته ،

---

(٢) رواه عن أربعة من الصحابة : عبادة بن الصامت ، وأنس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ( ١ : ٥٠ ) ط السنة المحمدية .

وقال ابن بطال في بيان كون الرؤيا جزءاً من النبوة : المعنى أن الرؤيا خبر صادق عن الله لا كذب فيه ، كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لا يجوز عليه الكذب ، فشابهت الرؤيا النبوة في صدق الخبر . وأما خصوص العدد ، فقال المازري : هو ما أطلع الله عليه نبيه ، لأنه يعلم من حقائق النبوة ما لا يعلمه غيره . ( انظر فتح الباري ج ١٦ ص ١٥-٢٢ ط . الحلبي وقد أطال فيها النقول والبحث .

(٤) تفسير : روح المعاني ج ١٢ ص ١٨٢ .

(٥) رواه البخاري .

لا يسمى مؤذنا ، ولا يقال : إنه أذن ، وإن كان ماقال جزءا من الأذان .  
ويؤيد هذا حديث أم كُرز الكعبية قالت : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول :  
« ذهب النبوة وبقيت المبشرات » <sup>(٦)</sup>  
وعلى كل حال ، فقد دلت هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها - كما دلّ القرآن الكريم في قصة يوسف وغيرها - على أن من الرؤى ما يتكشف فيه للرائي بعض الغيب المستور ، ولهذا عدت جزءا من النبوة ، كما أن منها ما يتضمن نوع بشارة للمؤمن بما يسره ، ومثله النذارة والتحذير من معصية أو غفلة ، أو التنبيه على طريق خير ورشد .  
وهذا هو مجال الرؤيا الصادقة الذي يشبهه المؤمنون بالإسلام ، لا أكثر من ذلك .  
فليست حجة شرعية ولا دليلاً يتوصل بها إلى معرفة أحكام الدين .  
أما غير الإسلاميين قديماً وحديثاً ، فلهم في ظاهرة الرؤى تحركات وتجذبات وأقاويل ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا قام عليها برهان ، ولا أيدها واقع .  
وهذا الذي جاءت به النصوص الهادية ، أيده ويؤيده الواقع المشاهد ، فلا تزال تجارب الناس في كل مكان ، وفي كل زمان ، إلى يومنا هذا تثبت أن هناك رؤى تنبأ بأحداث وأشياء ، ثم لا تلبث أن تتحقق .  
ومامنا إلا من شاهد من نفسه ، ومن حوله شيئاً من هذا الجانب . ومن لم يشاهد ذلك من نفسه ، سمعه من كثيرين غيره من الثقات ، ومن شتى الفئات ، ممن لا يعقل تواطؤهم على الكذب .  
أما العلم الحديث فقد اكتشف كثير من رجالاته أن في الإنسان طاقات عجيبة لم تعرف كلها بعد ، يمكن بها قراءة الأفكار ، واستشفاف بعض المجهول ، والتخاطب عن بعد ، وللغربيين في ذلك تجارب وملاحظات ، وكتب ومؤلفات .  
ولهذا يكون من التهور والتسرّع الذي لا يليق بإنسان يحترم نفسه ، ويحترم تجارب البشر ، ويحترم مواهب النوع الإنساني - المبادرة بإنكار الرؤيا الصادقة إنكاراً كلياً ، لا يقوم على أساس ولا برهان ، إلا جحد ما وراء الحس ، والانحصار في قمقم المادة الكثيفة : وعدم الثقة بما

(٦) أخرجه أحمد وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان .

وهب الله الإنسان من قدرة على اختراق حاجز الزمان والمكان ، واستشفاف بعض ما وراء عالم الشهادة ، مما يجنبه عالم الغيب .

ولقد حكوا عن صاحب نظرية التحليل النفسي « فرويد » أنه لم ينكر - على كل ما في نظريته من تجاوز وتمحل وتحكم - أن هناك أحلاما تحمل معنى التنبؤ .

وبعد هذا البيان في تفسير ظاهرة الرؤى الصادقة ، يلزمنا أن نبه هنا على أمرين في غاية من الأهمية :

### الرؤى مجرد مبشرات :

الأول : أن الرؤى الصالحة مجرد مبشرات أو منبهات ، لتثبيت قلوب المؤمنين أو تقوية عزائمهم ، وليست « مخدّرات » يتعاطاها بعض السليبين من الناس ، ليتخذوا منها تكأة للتكالية الواهنة ، وللهرب من الواقع ، أو للقهود عن مجاهدة الفساد ، ومواجهة الظلم والظلام . فهو إذا رأى في منامه أن طاغية سيسقط ، أو أن نظاماً سينهار ، أو أن طائفة ستنتصر ، هلّل وكبّر ، وضحك واستبشر ، ووقف عند هذا الحد ، لا يقوم بجهد إيجابي في تحويل الغيب المترقب إلى واقع ملموس ، مكتفياً بإلقاء العبء على كاهل القدر الذي يقول للشئ « كن » فيكون !

والنبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه لم يكونوا ينظرون إلى الرؤيا أكثر من أنها بشرى ، ثم يضمون في خطتهم وجهادهم ، سائرين على الدرب ، غير وائنين ولا متثاقلين ، ولا مهملين لسنن الله .

وهذا واضح من سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد أن رأى أنه وأصحابه دخلوا المسجد الحرام آمنين .

هذا مع الفرق البين الشاسع بين رؤيا ليس في صدقها شك - كرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم - ورؤى ربما كانت من أحاديث النفس وأمانيتها في اليقظة ، تشكل في صورة رؤى بالليل ، على نحو ما قال المثل : « الجوعان يحلم بأنه في سوق العيش » .

## الرؤيا ليست حجة شرعية :

الثاني : أن الرؤيا لا تعتبر دليلاً شرعياً ، ولا يحتج بها على جواز فعل أو ترك ، ولا على منع أو استحباب ، وذلك لأسباب :

١ - ان الشرع قد حدد أدلة الأحكام في الكتاب والسنة ، ومادلاً عليه من الإجماع والقياس الصحيح ، ولم يجعل من أدلة أحكامه رؤيا زيد أو عمرو من البشر غير المعصومين . قال تعالى : « أَتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكَّرُونَ » ( الأعراف : ٣ ) .

وقال : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » ( المائدة ٩٢ ) ، وقال : « وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنَ الرَّسُولِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » . ( الحشر : ٧ )

٢ - أن منابع الرؤيا متعددة متنوعة ، فهي كالكشف ، منها ماهو رحاني ، ومنها ماهو نفساني ، ومنها ماهو شيطاني . فمن أين يأتي اليقين بأن رؤيا فلان هذه رحمانية ، لا نفسانية ولا شيطانية ؟

قال - صلى الله عليه وسلم - « الرؤيا ثلاثة : رؤيا من الله ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا مما يحدث الرجل نفسه في اليقظة ، فيراه في المنام » وفي لفظ « ان الرؤيا قد تكون حقاً وهي المعدودة من النبوة ، وقد تكون من الشيطان ، وقد تكون من حديث النفس » . وعند ابن ماجه - بسند حسن كما في الفتح - مرفوعاً « الرؤيا ثلاث :

منها أهوئل من الشيطان ليحزن ابن آدم<sup>(٧)</sup> ، ومنها مايمم به الرجل في يقظته فيراه في منامه ، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » فالرؤيا الصادقة التي هي من دلائل الهداية هي التي من الله خاصة ، وكيف يمكن التمييز بين الأنواع الثلاثة ، إلا بعرضها على

---

(٧) مثاله : ما ثبت عند مسلم من حديث جابر قال : جاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، رأيت في المنام كأن رأسي قطع فانا أثبتته . وفي لفظ « فقد خرج فاشتدت في أثره ! فقال : لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام » وفي رواية له « إذا تلاعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يخبر به الناس » .



ميزان آخر ، وهو الشرع ؟ فرؤيا الأنبياء وحي ، وهي حق ، لأن الوحي لا يدخله خلل ، لأنه محروس من الشيطان . هذا باتفاق الأمة . ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بالرؤيا .

وأما رؤيا غيرهم فلا عصمة لها ، ولهذا وجب أن تعرض على الوحي الصريح ، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها .

٣ - أن الغالب في الرؤيا أن تكون على خلاف ظاهرها ، فهي عادة رموز وإشارات لا يفتن إلى حقيقتها إلا الأقلون من الناس . ولهذا اختص يوسف بأن الله علمه تأويل الأحاديث ، أي الرؤى . وكذلك قال هو عن نفسه مناجيا ربّه « رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ » ومن من الناس كان يمكن أن يؤول رؤيا ملك مصر للبقر والسنبلات بما أوله يوسف عليه السلام ؟ لقد عجز المعبرون في عصره وقالوا : « أضغاث أحلام ، ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين » . وحق لهم ما قالوا .

ولقد يرى الشخص الواحد منامين متشابهين في وقتين أو حالين مختلفين ، فيفسّر كل منها بعكس ما يفسّر به الآخر .

ولهذه الأمور اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لاتصلح للحجة ولا تتخذ دليلاً شرعياً . وإنما هي تبشير وتحذير وتنبيه ، ولهذا سماها الرسول : « المبشرات » .

ولكنها قد تعتبر وتصلح للاستئناس بها فقط إذا وافقت حجة شرعية صحيحة . كما ثبت عن ابن عباس : انه كان يقول بمتعة الحج ، لثبوتها عنده بالدليل السمعي من الكتاب والسنة ، فلما رأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك ، استبشر بها ابن عباس . فمجرد الاستبشار بمثل هذا لا يضر ، لأن العمدة في الموضوع إنما هو الاستدلال الشرعي .

يقول العلامة ابن القيم :

والرؤيا : مبدأ الوحي ، وصدقها بحسب صدق الرائي ، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً . وهي عند اقتراب الزمان لاتكاد تخطيء ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم . وذلك لبعده العهد بالنبوة وآثارها . فيتعوض المؤمنون بالرؤيا . وأما في زمن قوة نور النبوة : ففي ظهور نورها وقوته ما يغني عن الرؤيا .

ونظير هذا الكرامات التي ظهرت بعد عصر الصحابة ، ولم تظهر عليهم ، لاستغنائهم عنها بقوة إيمانهم ، واحتياج من بعدهم إليها لضعف إيمانهم . وقد نص أحمد على هذا المعنى . وقال عبادة بن الصامت : « رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام » وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات . قيل : وما المبشرات ، يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة ، يراها المؤمن أو ترى له » وإذا تواطأت رؤيا المسلمين لم تكذب . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما أروا ليلة القدر في العشر الأواخر قال « أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر . فمن كان منكم متحرِّها فليتحرها في العشر الأواخر من رمضان » .

والرؤيا كالكشف ، منها رحمانى . ومنها نفسانى . ومنها شيطاني . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الرؤيا ثلاثة : رؤيا من الله ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه في اليقظة . فيراه في المنام » .

والذى هو من أسباب الهداية : هو الرؤيا التى من الله خاصة . ورؤيا الأنبياء وحى . فإنها معصومة من الشيطان . وهذا باتفاق الأمة ، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام بالرؤيا .

وأما رؤيا غيرهم : فتعرض على الوحي الصريح . فإن وافقته وإلا لم يعمل بها . فإن قيل : فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة ، أو تواطأت ؟

قلنا : متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي ، بل لا تكون إلا مطابقة له ، منبهة عليه ، أو منبهة على اندراج قضية خاصة فى حكمه ، لم يعرف الرائي اندراجها فيه ، فيتنبه بالرؤيا على ذلك . ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحرق الصدق وأكل الحلال ، والمحافظة على الأمر والنهى . ولينم على طهارة كاملة مستقبل القبلة . ويذكر الله حتى تغلبه عيناه . فإن رؤياه لا تكاد تكذب ألبتة .

وأصدق الرؤيا : رؤيا الأسحار ، فإنه وقت النزول الإلهي ، واقترب الرحمة والمغفرة ، وسكون الشياطين . وعكسه رؤيا العتمة ، عند انتشار الشياطين والأرواح الشيطانية . وقال عبادة بن الصامت رضى الله عنه : « رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده فى المنام » . وللرؤيا ملك موكل بها ، يُريها العبد فى أمثال تناسبه وتشاكله . فيضربها لكل أحد

بحسبه . وقال مالك : « الرؤيا من الوحي . وَزَجَرَ عَنْ تَفْسِيرِهَا بِلاَ عِلْمٍ . وقال :  
أَتَتْلَعِبُ بِوَحْيِ اللَّهِ » .

ولذكر الرؤيا وأحكامها وتفصيلها وطرق تأويلها مظان مخصوصة بها ، يخرجنا ذكرها عن  
المقصود<sup>(٨)</sup> . والله أعلم .

### رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يثبت بها حكم شرعي :

بل أزيد على ذلك فأقول :

إن رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام أمراً بشيء أو ناهياً عن آخر ، أو مظهراً حبه  
لأمر أو شخص أو طائفة ، أو مبدياً كراهته وسخطه على فرد أو جماعة أو موقف أو عمل - كل  
ذلك لا يؤخذ به ولا يثبت بمثله حكم شرعي من وجوب أو استحباب أو تحريم أو كراهة أو  
إباحة . أو ولاء أو براءة أو عداوة .

ولأنما يعرض ما يكون من ذلك على الشريعة الثابتة المعصومة ، فإن وافقها فيها ونعمت ،  
وتكون الحجة هي الشريعة . أما الرؤيا فللتأنيس فقط .

وإن لم يوافق ذلك الشريعة رفض ولا شك ، لأن الذي كلفنا الله اعتقاده والعمل به هو ما  
أوحاه إلى رسوله في حياته ، لا ما نحيي به رؤياه في المنام بعد وفاته . فإن الله لم يقبضه إليه إلا  
بعد أن أكمل الدين وأتم النعمة ، وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها  
إلا هالك .

ذكر ابن حزم في « المحلى » أن بعضهم احتج على منع الصائم من القبلة في النهار بخبر عن  
ابن عمر قال فيه : قال عمر : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فرأيت  
لا ينظرني ، فقلت : يا رسول الله : ما شأنني ؟ فقال : أأنت تقبل وأنت صائم ؟ قلت -  
القائل عمر - : فوالذي بعثك بالحق ، لا أقبل بعدها وأنا صائم !  
وعقب أبو محمد ابن حزم على هذا الخبر بقوله : الشرائع لا تؤخذ بالمنامات ، لاسيما وقد

---

(٨) مدارج السالكين ج ١ ص ٥٠ - ٥٢ - ١ ط السنة المحمدية .

أفتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمر في اليقظة حيا بإباحة القبلة للصائم . فمن الباطل أن ينسخ ذلك ميتا ! نعوذ بالله من هذا . (٩)

وذكر ابن حزم هنا الخبر الذي أخرجه أبو داود عن جابر قال ، قال عمر بن الخطاب : هشتتُ فقُبلتُ وأنا صائم . فقلت : يا رسول الله ، صنعت اليوم أمراً عظيماً : قُبلتُ وأنا صائم ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أرايتَ لو مضمضتَ من الماء وأنت صائم ؟ قلت : لا بأس به . قال : فمه (١٠) .

فيين له أن القبلة من الجماع المحظور ، كالمضمضة من الشرب الممنوع ، كلتاها لا تنظر . ولهذا يستدل بهذا الحديث على إثبات القياس ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أثبت للشيء حكم نظيره وهو القياس .

وأما قوله : صلى الله عليه وسلم : « من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » فهو حديث صحيح رواه البخاري عن أنس ، ومثله عن أبي سعيد الخدري : « من رآني فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكوني » ، وعن أبي قتادة : « إن الشيطان لا يترأى بي » .

وعن أبي هريرة : « ولا يتمثل الشيطان بي » أو « لا يتمثل في صورتي » وكلها عند البخاري ، فصحتها مما لا ريب فيه .

ومثلها عند مسلم وابن ماجه من حديث جابر « انه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل بي » . ومعنى هذا الحديث برواياته كافة : أن الله أكرم نبيه وأكرم أمته بأن منع الشيطان أن يظهر في صورته - صلى الله عليه وسلم - في الرؤيا ، لئلا يكذب على لسانه ، ويضل الأمة . فمع أن الله أعطاه القدرة على التشكل في أي صورة أراد ، لم يمكنه من التصور في صورته - صلى الله عليه وسلم - فمن رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في الرؤيا ، فقد رآه حقاً ، أو رأى الحق ، كما صح عنه ، فليست رؤياه من أضغاث الأحلام ، ولا من وسوسة الشيطان . ومعنى الحديث ، كما قال جماعة من العلماء : إذا رآه على الصفة التي كان عليها في حياته ،

---

(٩) المحلى ج ٦ ص ٥٠٧ ط . الإمام .

(١٠) رواه أبو داود في الصوم برقم ( ٢٣٨٥ ) وابن خزيمة في صحيحة ( ١٩٩٩ ) وابن حبان كما في

( الموارد ) برقم ( ٩٠٥ ) والحاكم في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي ( ١ : ٤٣١ ) .

لا على صفة مضادة لحاله ، فإن رؤي على غيرها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة ، فإن من الرؤيا ما يخرج على وجهه ، ومنها ما يحتاج إلى تأويل .

وهذا ما اعتمده إمام المعبرين للرؤى محمد بن سيرين رحمه الله . فقد قال تعقيبا على الحديث المذكور : « هذا إذا رآه في صورته » كما علقه عنه البخاري .

وذكر الحافظ في الفتح عن أيوب قال : كان - يعني محمد بن سيرين - إذا قصّ عليه رجل أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : صف لي الذي رأيته - فإن وصف له صفة لا يعرفها قال : لم تره . قال الحافظ : سنده صحيح . ووجدت له ما يؤيده . فأخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب : حدثني أبي ، قال : قلت لابن عباس : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام . قال : صفه لي . قال : ذكرت الحسن بن علي ، فشبهته به ، قال : قدرأيته . وسنده جيد . (١١)

وهذا القول من ابن عباس من الصحابة ، ومن ابن سيرين من التابعين ، يدل على أنه ليس كل من رأى شخصا في المنام خيّل إليه أنه رسول الله ، يكون قد رأى رسول الله حقا . وعلى ذلك جرى علماء التعبير ، فقالوا : إذا قال الجاهل : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يسأل عن صفته ، فإن وافق الصفة المروية - أي في كتب الحديث والسيرة - وإلا فلا يُقبل منه . (١٢)

ومن جهة أخرى ، فإن النائم ليس من أهل التحمل للرواية ، لعدم ضبطه وحفظه ، (١٣) فلا يؤخذ ما قاله بعد يقظته حجة مطلقة .

وبهذا كله نعلم ان لا حجة للمنحرفين والمبتدعين في اتخاذهم المنامات والرؤى دليلاً يستندون إليه ، مبررين بها بدعهم وانحرافاتهم التي ما أنزل الله به من سلطان . وللإمام أبي اسحق الشاطبي كلام في موضوع الرؤيا ردّه على هؤلاء المبتدعة ، وهو غاية في الرصانة والتحقيق والجودة ، أنقله هنا لما فيه من قوة الحجة ، ووضوح المحجة .

---

(١١) فتح الباري ج ١٦ ص ٣٨ .

(١٢) نفسه ص ٤٢ .

(١٣) انظر : إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٤٩ ط ١ مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧ .

## تحقيق الإمام الشاطبي في موضوع الرؤيا :

قال الشاطبي في كتابه « الاعتصام » :

« وأضعف هؤلاء ( يعني المبتدعة ) احتجاجاً : قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات <sup>(١٤)</sup> - وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون : رأينا فلانا الرجل الصالح ( أي في المنام ) فقال لنا : اتركوا كذا ، واعملوا كذا . ويتفق مثل هذا كثيراً للمتمرسين <sup>(١٥)</sup> برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في النوم ، فقال لي كذا ، وأمرني بكذا ، فيعمل بها ، ويتركها ، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة . وهو خطأ ، لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال ، إلا أن تعرض على مافي أيدينا من الأحكام الشرعية ، فإن سوغها عمل بمقتضاها ، وإلا وجب تركها والإعراض عنها ، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة . وأما استفادة الأحكام فلا . كما يحكى عن الكناني - رحمه الله - قال : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام . فقلت : ادع الله ألا يميت قلبي . فقال : « قل كل يوم أربعين مرة : يا حي يا قيوم ، لا إله إلا أنت » فهذا كلام حسن لا إشكال في صحته ، وكون الذكر يحبي القلب صحيح شرعاً . وفائدة الرؤيا : التنبيه على الخير ، وهو من ناحية البشارة ، وإنما يبقى الكلام في التحديد بالأربعين ، وإذا لم يوجد على اللزوم ( يعني إذا لم يلتزم به ويدم عليه ) استقام .

فلورأى في النوم قائلاً يقول : إن فلاناً سرق فاقطعه ، أو عالم فأسأله ، أو اعمل بما يقول لك ، أو فلان زني فحدّه ، وما أشبه ذلك ، لم يصح له العمل ، حتى يقوم له الشاهد في اليقظة ، وإلا كان عاملاً بغير شريعة ، إذ ليس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحي . ولا يقال : إن الرؤيا من أجزاء النبوة ، فلا ينبغي أن تهمل . وأيضاً إن المخبر في المنام قد يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قد قال : « من رآني في النوم فقد رآني حقاً ، فإنّ الشيطان لا يتمثل بي » وإذا كان ، فإخباره في النوم كإخباره في اليقظة ، لأننا نقول : إن كانت

(١٤) في الأصل : المقامات ، وهو غلط ناسخ أو طابع ، بدليل السياق .

(١٥) تمرس بالشيء : احتك به ، وتمرس بدينه : تلعب به ، وعبث كما يعبث البعير .

والمراد بهم هنا : المقلدون للصوفية في رسومهم الظاهرة دون أخلاقهم وأعمالهم .

الرؤيا من أجزاء النبوة فليست إلينا من كمال الوحي ، بل جزء من أجزائه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه ، وقد صرفت إلى جهة البشارة والندارة ، وفيها كاف . (١٦)

وأيضاً فإنّ الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها : أن تكون صالحة من الرجل الصالح ، وحصول الشروط مما ينظر فيه ، فقد تتوفر ، وقد لا تتوفر .  
وأيضاً فهي منقسمة إلى الحلم ، وهو من الشيطان ، وإلى حديث النفس ، وقد تكون سبب هيجان بعض أخلاط ، فمتى تتعين الصالحة حتى يحكم بها ، وترك غير الصالحة ؟ ويلزم أيضاً على ذلك أن يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو منهي عنه بالإجماع .

يحكى أن شريك بن عبد الله القاضي دخل على المهدي ، فلما رآه قال : عليّ بالسيف والنطع . قال : ولم يأمر المؤمنين ؟ قال : رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي ، وأنت معرض عني ، فقصص رؤياي على من عبّرها . فقال لي : يظهر لك طاعة ، ويضمّر معصية . فقال له شريك : والله مارؤياك برؤيا إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولا معبرك بيوسف الصديق عليه السلام ! فبالأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين ؟ ! فاستحيا المهدي وقال : أخرج عني . ثم صرفه وأبعده .

وحكى الغزالي عن بعض الأئمة : أنه أفتى بوجوب قتل رجل يقول بخلق القرآن . فروجع فيه ، فاستدل بأن رجلاً رأى في منامه إبليس قد اجتاز بباب المدينة ولم يدخلها . فقليل : هل دخلتها ؟ فقال : أغناني عن دخولها رجل يقول بخلق القرآن « وذكر اسمه » فقام ذلك الرجل فقال : لو أفتى إبليس بوجوب قتلي في اليقظة هل تقلّدونه في فتواه ؟ فقالوا : لا . فقال : قوله في المنام لا يزيد عن قوله في اليقظة !

وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرائي بالحكم ، فلا بد من النظر أيضاً ، لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته ، فالحكم بما استقر ، وإن أخبر بمخالف فمحال ، لأنه - صلى الله عليه وسلم - لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته ، لأن الدين

---

(١٦) كذا ، ولعل في الكلام حذفاً .

لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية ، لأن ذلك باطل بالإجماع . فمن رأى شيئاً من ذلك فلا عمل عليه ، وعند ذلك نقول : إن رؤياه غير صحيحة ، إذ لو رآه حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع .

### تأويل حديث « من رآني في المنام فقد رآني حقاً » :

« لكن يبقى النظر في معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - « من رآني في النوم فقد رآني » . وفيه تأويلان :

أحدهما : ما ذكره ابن رشد إذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في قضية ، فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له : لا تحكم بهذه الشهادة فإنها باطلة ! . فأجاب بأنه لا يحل له أن يترك العمل بتلك الشهادة ، لأن ذلك إبطال لأحكام الشريعة بالرؤيا ، وذلك باطل لا يصح أن يعتقد ، إذ لا يعلم الغيب من ناحيتها إلا الأنبياء الذين رؤيهم وحي ، ومن سواهم إنما رؤيهم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة . ثم قال : وليس معنى قوله : « من رآني فقد رآني حقاً » أن كل من رأى في منامه أنه رآه فقد رآه حقيقة . بدليل أن الرائي قد يراه مرات على صور مختلفة ، ويراه الرائي على صفة ، وغيره على صفة أخرى . ولا يجوز أن تختلف صور النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا صفاته . وإنما معنى الحديث أن من رآني على صورتي التي خلقت عليها ، فقد رآني ، إذ لا يتمثل الشيطان بي . إذ لم يقل من رأى أنه رآني وإنما قال : من رآني فقد رآني . وأني لهذا الرائي الذي رأى أنه رآه على صورته أنه رآه عليها ؟ وإن ظن أنه رآه ، ما لم يعلم أن تلك الصورة صورته بعينها ، وهذا مالا طريق لأحد إلى معرفته .

فهذا ما نقل عن ابن رشد وحاصله يرجع إلى أن المرئي قد يكون غير النبي - صلى الله عليه وسلم - وإن اعتقد الرائي أنه هو .

والتأويل الثاني : بقوله علماء التعبير : إن الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما من معارف الرائي وغيرهم . فيشير إلى رجل آخر : هذا فلان النبي . وهذا الملك الفلاني ، أو من أشبه هؤلاء ممن لا يتمثل الشيطان به ، فيوقع اللبس على الرائي بذلك ، وله علامة عندهم . وإذا كان كذلك أمكن أن يكلمه المشار إليه بالأمر والنهي غير الموافقين للشرع . فيظن الرائي أنه من



قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا يكون كذلك . فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى .  
وما أحرى هذا الضرب أن يكون الأمر أو النهي فيه مخالفاً لكمال الأول ، تحقيقاً بأن يكون  
فيه موافقاً ، وعند ذلك لا يبقى في المسألة إشكال . نعم لا يحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على  
العلم ، لإمكان اختلاط أحد القسمين بالآخر ، وعلى الجملة فلا يستدلّ بالرؤيا في الأحكام  
إلا ضعيف المنّة .

نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة ، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ، ولا  
يبنون عليها أصلاً ، وهو الاعتدال في أخذها ، حسبما فهم من الشرع فيها ، والله  
أعلم . (١٧)

---

(١٧) الاعتصام ج ١ ص ٣٥١ - ٣٥٧ ط . المنار .